ماذا يراد للبنان وبه؟

محمد الزبيدي

□ بعد مضي شهر على اغتيال رئيس الحكومة اللبنانية السابق رفيق الحريري ما زالت الساحة اللبنانية تتفاعل في سجال يشبه إلى حد ما سجال الحرب الباردة، وذلك على الرغم من إعلان الرئيس السوري بشار الأسد سحب قواته من لبنان إلى سهل البقاع كمرحلة أولى، والتي تم سحبها فعلاً، وعلى الرغم من استقالة الحكومة وإذا كانت المظاهرة والمظاهرات المضادة ما زالت تشغل الشارع اللبناني، فإن السؤال الذي يتبادر إلى ذهن كل مراقب هو : ماذا بعد؟

من المعتقد أن السيناريو المكتوب للبنان لم يكتمل تمثيله وتنفيذه، ومن العجيب أو الغريب، وهما معاً، أن الضغوط على سوريا ما زالت متواصلة، مسقطة من حسابها ما تتطلبه عملية الانسحاب من وقت وإمكانيات، وأن الانسحاب بحد ذاته معركة، وهذه أمور يعرفها العسكريون، ولهذا فإن من السهل أن تخرج المعارضة اللبنانية بمظاهرات وترفع الشعارات التي تطالب بسحب القوات السورية فوراً دون أن تدرك ما يعنيه الانسحاب ولأن خطط الانسحاب لا يقررها إلاَّ القادة العسكريون، ومن هنا كان اجتماع المجلس الأعلى السوري – اللبناني المشترك وأحال موضوع الجدولة الزمنية على القادة العسكريين، وهنا تبدو المسألة منتهية، فلماذا إذاً تتردد الأصوات في حوار الشوارع وحربها الباردة؟ وهناك تساؤلات تقول : هل المقصود بمثل اللعبة الخطرة لبنان أم سوريا أم هما معاً أم هما وبقية الدول العربية؟

على العموم أياً كانت الإجابات فإن الهجمة شرسة وتحتاج إلى عقول تمتصها وتفوت الفرصة أمامها، ولقد لوحظ أن المتكلمين في المظاهرات والمظاهرات المضادة يدركون بجلاء أبعاد الهجمة ويدركون الغاية من تحريك الأحداث، وأن لبنان كما هي سوريا تستهدفان، وأن الذين يحركون مثل هذه الأحداث هم الذين يعتقدون أنهم وحدهم من يجني ثمار ما يجري بدءاً بالقرار (١٥٥٩) ووصولاً إلى عملية اغتيال الرئيس الحريري.

وإذا كان المكلف بتشكيل الحكومة الجديدة عمر كرامي قد ظل يشدد على الحوار ويطالب المعارضة بالاشتراك في الحكومة الجديدة ويحذرهم من مغبة الخراب الذي يدبر للبنان، فإن المعارضة – كما يبدو – تتمسك بشروط ربما كان بعضها تعجيزياً.

ومن الملفت للنظر أن الدول العربية قد اكتفت بموقف المتفرج وكأن لبنان لا يعنيهم في شيء، ربما لأنها تهيء نفسها للملمة الموقف على طاولة قمة الجزائر التي ستعقد قريباً، وعندها يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وإن كان ليل سبات العرب ما زال طويلاً وقد لا يظهر له فجر، ذلك لأننا قد عشنا وجربنا القمم العربية وأدركنا عن قرب مناقشاتها ومداولاتها، وحتى مع وجود بؤر التوتر في أكثر من مكان فإذا كان العراق مثخناً بجراحه فإن الشعب الفلسطيني هو الآخر مثخن بجروحه المزمنة والسودان كلما التأم منه جرح سال جرح، وهاٍ هو الشعب اللبناني يعيش حالة من الفوضى والتسخين، وهو في أمسّ الحاجة إلى التكميد لئلا تفضي به حمى سجال الحرب الباردة – التي تعكسها المظاهرات والمظاهرات المضادة – إلى ما لا يحمد عقباه.

> □ إن الأصوات التي ترتفع من وراء البحار نذير شؤم، وإن لبنان الذي عاش الديمقراطية بأبعادها الاجتماعية والسياسية والثقافية، والذي كان مركز إشعاع في الوطن العربي يمتلك من الاقتدار ما يمكن أن يعصمه من المؤامرات

ومع أن اللبنانيين استفادوا من التجربة المريرة المتمثلة في الحرب الأهلية التي استمرت أكثر من خمسة عشر عاماً، إلاَّ أن التشنج والانفعالات لا تشيران إلى الاستفادة من هذه التجربة القاسية التي أكلت الأخضر واليابس وقضت على الاقتصاد اللبناني، والتي كانت تحيلها الليرة اللبنانية أكبر من الجنيه الاسترليني، ومن المعتقد أن كل اللبنانيين يتذكرون هذا جيداً، وإذا ما تذكروا هذا فإنهم – ودون أدنى شك – قد يحمون أنفسهم ووطنهم مما يراد بهم وبوطنهم.

إن الأصوات التي ترتفع من وراء البحار نذير شؤم، وإن لبنان الذي عاش الديمقراطية بأبعادها الاجتماعية والسياسية والثقافية، والذي كان مركز إشعاع في الوطن العربي يمتلك من الاقتدار ما يمكن أن يعصمه من المؤامرات التي تحاك ضده مستهدفة وحدته وسلامته، وأن على الدول العربية أن تهتم به، وأن تمد يدها لمساعدته في القضايا القومية، والجميع يعرف هذا ويدركه، ومع ذلك فإن المؤامرات التي تستهدفه وتستهدف الجمهورية العربية السورية إنما تستهدف الأمة العربية.

احترام القضاء

خالد محمد الدبيس

● احترام القضاء وتناول الصحافة له بالمهابة التي تبين مكانته كأهم سلطات الدولة من الامور المسلم بها في جميع بلدان العالم فاحترام القضاء يعني احترام الدستور والقانون، يعني الطمأنينة والاستقرار والتنمية، يعني احترام الحقوق والحريات فهو اساس العدل، وبه تتم الحاجة، واليه يرجع الخلاف.

ولقد اولت مختلف التشريعات الاعلامية القضاء اهمية خاصة ألزمت وسائل الاعلام بضوابط اطلق عليها بمحظورات النشر .

اكدت فيه على ان تكون التناولات الاعلامية للقضاء معززة لمبدأ الاستقلالية وحسن سير العدالة، إذ أي اهانة للقضاء يعني اهانة للنظام والقانون وفيه ضرر على مستقبل البلاد على الاجمال ومصدر لزعزعة الامن والاستقرار والتنمية، كما تعد مصدراً لإعاقة العديد من القضايا ومنها تراجع مستويات التنمية القضائية.

الا ان مما يؤسف له والمطالع لبعض الصحف سيجد مدى الحقد على القضاء ويدرك مدى الانتهاك الواضح والصريح والتحدي للقانون، وحجم الانتقاد الحاد وغير المسئول من قبل بعض الصحف دون أي سند أو دليل قانوني، ودون ادنى ضوابط أو ادراك للتبعية ، منطلقة من الحرية الاعلامية والتي اصبحت تمثل تحدياً كبيراً للقضاء الذي يواجه اليوم اشرس الحملات الاعلامية؛ لمجرد انه يدير منازعات اعلامية ويسعى لتطبيق القانون .

والملفت للنظر ان كل ذلك منبعه زمرة اعلامية التقت بسلوكها واهدافها وممارساتها مع اعداء الثورة والوحدة منطلقة من منطلق حرية الاعلام محرفة للحقائق ومزيفة للوقائع مسندة على الافتراءات والاباطيل وحملات التضليل المغرضة، ممجدة كل عدو، منتهكة كل قانون .

بيد ان هذه الحملة العدائية رغم ما تحمله من احقاد دفينة وما ترسمه من صورة خاطئة لقضائنا خارجياً وكل ما ترمي اليه من تحديات سافرة للانظمة والقوانين وهدم كل التوجهات والاعمال الهادفة لاصلاح وتطوير وتحديث القضاء وان نجحت خارجياً .

الا انها تبقى ، وبرغم ذلك ، عاجزة عن تحقيق ذلك داخلياً.

فلقد امتلك المواطن اليمني كل مقومات النضج والذكاء ما مكنه من التحليل ومعرفة الغث من السمين .. والتمييز بين الاعلام المعتدل والاعلام المعادي المنحرف جعل منه يطلق على الاخير بكلام جرائد.

ومما يؤسف له أيضا ان بعض الصحفيين بدأوا يحاكون تلك الزمرة المعادية للوطن بحجية حرية الاعلام بعد ان غاب عنها ان الصحافة مهنة مكرسة للصالح العام وهناك من التشريعات الاعلامية ما تحكم التناولات الاعلامية لمختلف الحقوق .

وهنا ندعو وزارة الاعلام الى ممارسة مسئوليتها تجاه مختلف الممارسات الخاطئة التي احدثت حالة من الفوضى والعبثية داخلياً وخارجياً.

كما ندعو نيابة الصحافة تحريك الدعوى الجزائية ضد كل من تسول له نفسه المساس بهيبة القضاء ومكانته، كما ندعو نقابة الصحفيين لممارسة دورها في هذا الجانب من خلال ايجاد ميثاق شرف ينظم العمل الصحفي وحدوده وتفعيل مجالس التأديب.

الثقافة الوطنية في مواجهة العولمة..هل ننجح في تحييدها؟

عبدالله بن علي العليان ●

□ .. عندما نناقش قضية العولمة والاقتصاد في جوانبهما التبادلية فإنها تعد مسألة محسومة وواضحة في أهدافها وشروطها بين دول العالم، بغض النظر عن العدل والإجحاف في الشروط، أو القسر والإلحاق ذلك أن الانخراط فيها ـ أي العولمة ـ قضية لا خيار لنا فيها ولا رفض، ولا يمكن إلا بالاندماج والتفاعل مع عوالمها الاقتصادية المتعددة، لأنها تمثل في أحشائها جوانب ضرورية وأبعادا تكنولوجية وعلمية لا غنى لنا عنها لعصرنا المتغير، مع الاعتراف أن الكثير من الشروط في بعدها الاقتصادي مجحف للكثير من الدول الآخذة في النمو، والدول ذات المصاعب الاقتصادية لأسباب اجتماعية وسياسية وجغرافية.

لكن جدل الهوية العولمة، قضية مختلفة تماماً، ولا تندرج في اعتقادنا في مسائل الاقتصاد والسياسة الخاضعين لمتغيرات وتفاعلات غير ثابتة ضمن تطور الأمم وتجدد احتياجاتها، وتشابك قضاياها المعاصرة، لكن الخطر المتوقع المقبل، أن العولمة وبإمكانياتها الضخمة من تكنولوجيا متقدمة ووسائط معلوماتية هائلة تستطيع اختراق الحدود والسدود، وبلا قدرة على المقاومة أو حتى الرفض ضمن شروط العولمة في جانبها الاقتصادي البحت! ويتحدث الغرب الآن ويتعالي أن الحديث عن الهويات الثقافية والخصوصيات الذاتية أصبح كلاماً بالياً عفا عليه الزمن، ولا يمكن الالتفات إليه كطرح يعتد به وأخذه في الحسبان، وعندهم ـ كما يقول إبراهيم الحيدري ـ أن من يرفض " قيم" العولمة وعاداتها الاستهلاكية إنما يريد رفض بضائع المدنية الحديثة ووسائل الإتصال وتكنولوجيا المعلومات التي دخلت البيوت، ومجالات العمل والثقافة والحياة الاجتماعية، ومن مظاهرها تداخل عناصرها وتياراتها وتفاعلها مع بعضها الآخر،بحيث لم تعد التجارة والتكنولوجيا حرة وعالمية فحسب، بل والإنتاج والاستهلاك، وأصبح الحديث عن "الثقافة المصنعة" هدفا من أهدافها الجديدة. ولا شك أن العصر الراهن هو عصر الهيمنة والقوة الاقتصادية بلا منازع بما تمثله من انفتاح في التجارة والنشاطات الأخرى الهامة وغيرها من الجوانب، انه مجتمع المعلومات العولمي المتشابك، وهذا بدوره سوف يجر إلى تغير اجتماعي ونفسي يسير بمعطيات مختلفة عما ألفناها من قبل المتمثلة في زيادة القدرات الوظيفية للأنساق الثقافية العالمية من خلال تطور تقنيات الاتصال الجديدة، كالإنترنت والحاسوب والجوال وغيرها من الوسائل المعلوماتية الحديثة، وهذه الوسائل سيكون لها الأثر في تشكيل الوعي لدى المتلقين وخاصة النشء الذين يتهافتون على هذه الوسائل بدون أن يدركوا أبعادها الفكرية وأثرها الاختراقي على العقل والوجدان العربي.وهذه التقنية أيضاً سوف تدخل كمتغير فاعل ومؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية، فمن خلالها لم يعد النشء يستبطن الثقافة المحلية ـ كما يقول الباحث عبد القادر عرابي ـ بل ستدخل في تشكيل ثقافات أخرى، فالثقافة الوطنية، ثقافة الدولة والمجتمع، ستواجه الثقافة العالمية بحيث أننا نجد أنفسنا أمام ثقافتين وعالمين مختلفين أو عوالم ثقافية مختلفة، لا تتفاعل مع بعضها البعض بل يسود بعضها البعض، وسوف تتدخل المؤسسات الأجنبية ـ من خلال شروطها ـ في عالم حياتنا، وتحاول السيطرة عليه واستعماره أو على الأقل تشكيله، وسيقود هذا التدخل إلى مشكلات وتحديات تربوية ونفسية تهدد عمليات التفاعل المفترضة بين الثقافات.

وإذا كانت الدولة الوطنية قد احتفظت بخصوصيتها الثقافية إلى حد ما، فإن مجتمع المعلومات قد ضيق هذه الخصوصية والهوية الذاتية، إذا لم يكن ينذر بالقضاء عليها، فالدولة لم تعد في المستقبل هي المصدر الوحيد للمعلومات، كما أنه من المتعذر عليها السيطرة على تدفق المعلومات الهائل وضبطها.وإذا كانت التنشئة الاجتماعية عبرت في الغالب عن علاقة مباشرة بين شخصين أو أكثر، فإن التنشئة اللاشخصية ـ كما يقول عرابي ـ تزداد من خلال تطور تقنيات الاتصال الجماهيري، وتعتبر وسائل الاتصال العالمية وسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية الجديدة التي صارت تنافس الوسائل الأخرى كالأسرة وأولياء الأمور والمدرسة والبيت، وغيرهم من وكلاء التنشئة الاجتماعية، وقد تكون أحياناً أكثر أثراً منهم على الطفل، إذا ما ازداد تعرض الطفل لها، ومع أن الدراسات حول هذه الظاهرة لا تزال قليلة جداً في مجتمعنا العربي، إلا أن أثرها واضح في بناء الشخصية وعالم الطفل ومفرداته اللغوية، وتحصيله الدراسي وفعله الاتصالي وسلوكه الاجتماعي، وآرائه وقناعاته ومواقفه وسلوكه الاستهلاكي، فالساعات الطويلة التي يقضيها الطفل في مشاهدة تقنيات الاتصال العالمية تجعل منها مصدراً هاماً لإمداده بالمعلومات ولتكوين اتجاهاته ومعتقداته، وقد تحوله إلى مجرد مستهلك سلبي، الشيء الذي يقف حائلاً دون تطوير قدراته وطاقاته الإبداعية.لقد كانت الدولة في الماضي ـ إلى حد ما ـ هي المصدر الوحيد للمعلومات، أما الآن فإن تطور تقنيات الاتصال ستجعل الثقافة العالمية تنساب عبر الحدود، الأمر الذي يجعل من المتعذر السيطرة على تدفق المعلومات الهائل ومراقبتها. أما التحديات التي تترتب على العولمة الثقافية بالنسبة للمجتمع فخطيرة جداً، ذلك أن المجتمع يعرف نفسه من خلال الثقافة والتاريخ، وتكوين مرجعية ثقافية، تشكل أساساً لشعور الجماعة والنسق القيمي. وهذا سيشكل تحدياً كبيراً من خلال الاختراق الثقافي وتعدد العوالم الثقافية، وانسياب المعلومات في اتجاه واحد هي التي تضع الرأي العام وتؤثر في تشكل وعيه.لكن البعض يقلل من خطر العولمة ويعتبر هذا التدفق المعلوماتي ظاهرة إيجابية في معظم أنساقها الثقافية، ويمثل جانباً هاماً من انفتاح الثقافات العالمية على بعضها البعض.إن هذه المقولات التي تسوّق لثقافة العولمة، وتبشر بمزاياها والتقليل من مخاطرها، ليست مقنعة في أغلب جوانبها بالنظر إلى الكثير من الآراء والأفكار التي يطرحها سماسرة العولمة نفسها. وللتدليل على ما نراه مخالفاً حول ما قيل آنفاً أن هناك أصواتاً في الغرب قوية ومؤثرة تتحدث عن مخاطر العولمة في جانبها الثقافي أيضاً.. ناهيك عن البعد الاقتصادي ومشاكله في أوروبا نفسها، وما حدث في سياتل وفي غيرها من المدن الأوروبية منذ سنوات أكبر مثال على مدى الرفض والقلق من مخاطرها الكثيرة.

وأصدق مثال على ذلك أن فرنسا لا تزال إلى الآن تنتقد العولمة الثقافية والتي تسميها "الإمبريالية الثقافية الأمريكية" وتبذل جهوداً كبيرة للمحافظة على "الفرانكفونية" في فرنسا، وفي بعض الدول الإفريقية، ومما قاله وزير ثقافتها في أحد المؤتمرات الدولية مهاجماً الولايات المتحدة : أن تلك الدول علمتنا قدراً كبيراً من الحرية، ودعت الشعوب إلى الثورة على الطغيان، أصبحت لا تملك اليوم منهجاً أخلاقياً سوى الربح، وتحاول أن تفرض ثقافة شاملة على العالم أجمع، ومضى يقول : ان هذا هو شكل من أشكال الإمبريالية المالية والفكرية، لا يحتل الأراضي، بل يصادر الضمائر ومناهج التفكير وطرق العيش.

ومن أجل ذلك رفضت فرنسا ـ وهي إحدى الدول الكبرى الصناعية في العالم كما معروف ـ أن توقع على الجزء الخاص بالسلع والمواد الثقافية في اتفاقية الجات، وهي تشمل: السينما والتلفاز والفيديو وما يشابهها، وقد نجحت فرنسا في الحصول على تأييد ٤٦ دولة فرانكفونية في محاولاتها الحصول على "استثناء ثقافي" يشمل تلك السلع والمواد، وقد أدرج في الاتفاقيات الدولية الخاصة بحرية التجارة (الجات).

فإذا كان موقف فرنسا بلد الحرية والنور والإشعاع الثقافي في الغرب، ترفض ثقافة الولايات المتحدة وتعتبرها إمبريالية ثقافية. فماذا يجب أن يكون موقفنا نحن من هذا الاكتساح الثقافي والاقتصادي، وغيرها من الأبعاد الأخرى في هذا الإطار؟.

وإذا كانت العولمة الثقافية تعني هيمنة ثقافية واحدة بأفكارها وقيمها وسلوكياتها، وإزاحة الثقافات والهويات الأخرى الذاتية، فما جدوى الحديث عن تعددية الأفكار والثقافات الإنسانية؟ وماذا بقي من شعار الديمقراطية وحقوق الإنسان وهما من أسس الحرية الثقافية والفكرية في ظل هذا التحول المعادي للتعددية الثقافية؟.

وإذا كان البعض يردد مقولات تقلل من محاذير ومخاطر العولمة الثقافية، والحديث عن التبادل والتفاعل الثقافي بين الثقافات، من خلال تقنيات الاتصال وغيرها من الوسائل الحديثة، فإننا نعتقد أن هذه الآراء تفقد مصداقيتها كما قلنا بالتدريج، ذلك أن التبادل الثقافي بين الثقافات غير المتكافئة محسوم سلفاً، وعدم التكافؤ يلغي عملية التفاعل والتبادل المفترض بين ثقافات الشعوب، وأن عدم الاعتراف بالتعددية الثقافية في إطار العولمة ربما يمهد الطريق إلى حضارات وثقافات مغلقة، والانغلاق ربما يجر إلى انقسام الحضارات، وهذا الانقسام سيعزز للأسف نظرية هنتنغتون في "صدام الحضارات" التي تدعي أن فكرة التصادم والانقسام في المستقبل لن يكون أساسه الأيديولوجيا، بل الثقافات والهويات عند خطوط التماس في هذه الحضارات.فهل تعي الإنسانية هذه المشكلات المقبلة؟ ومن ثم العمل معاً على سيادة الاعتراف بالآخر المختلف، واحترام ثقافته وهويته في ظل التعددية والديمقراطية وحقوق الإنسان؟

● كاتب عربي

آفاق

في المسألة السكانية

فضل النقيب

■،، تبدو المسألة السكانية مراوغة وسلّمها طويل، إذ ارتقى فيه الذي لا يعلمه، زلّت به إلى الحضيض قدمه، وهيهات، أن يطمئن بلد إلى مستقبله إذا لم يؤرقه الهاجس السكاني ويكون حاضراً في كل خطوة يخطوها وفي كل لحظة يضعها وفي كل مدرسة ينشؤها وفي كل اتفاقية يعقدها مع الخارج أو مع الداخل أو مع النفس، ذلك أن جهاد النفس هو الجهاد الأعظم، وما أكثر ما في المسألة السكانية من فرائد الجهاد.

المسألة ليست في اتجاه السلب دائماً وإنما أيضاً في اتجاه القوة، فالسكان إما أن يكونوا عبئاً أو مصدر غنى لا ينضب، ذلك أن الثروات الطبيعية قابلة للنضوب، أما الثروة البشرية فيمكن اعتبارها المصدر الأول لكل الثروات، لذلك فإن الاستثمار فيها له جدوى اقتصادية وحضارية كبرى، شريطة إحسان الاستثمار فلا تكون ترقية الأفراد خارج احتياجات المجتمع أو بعيداً عن التطورات العلمية الجارية في العالم، أو انغماساً فيما يؤدي إلى انحطاط الحياة وإشاعة الروح العدمية.

ومع ثروة المعلوماتية التي تجتاح البشرية المعاصرة فقد أصبح العقل البشري لأول مرة في التاريخ منتجاً للثروة وفي ذروة الهرم العالمي للغنى يقف اليوم سادة الكمبيوترات ومطورو الشرائح ومزودو الخدمات الالكترونية وعمالقة البرمجة الذين لم يتركوا مجالا من مجالات الحياة إلاَّ ودسّوا فيه أنوفهم الطويلة ليعيدوا قولبته وجعله نابضاً بالحياة على مدار الساعة.

إن الدول الرشيدة تشبه الأب الصالح لا يمانع في صرف ثروته لتأهيل أبنائه تأهيلاً راقياً ليشقوا طريقهم في الحياة بثقة واقتدار وبذلك يكون قد أورثهم ثروة لا تنضب، فالعلم هو الشيء الوحيد الذي كلما صرفت منه ازددت ثراء، وتأصيل العلم والخبرة في المجتمعات عبر الاستثمار بكل الوسائل المتاحة هو أساس المشروع الحضاري؛ لأن المجتمع المتعلم المتنور يؤصل الارتقاء تلقائياً وبقوة المثال الأول، وكثير من المجتمعات الغنية التي لا تنتبه لقواها البشرية تضمحل قواها وتخمل لعدم إدراكها مصدر الثروة الأول.

ومن الواضح أن العلم والبناء في ضوء التزايد السكاني ومدلولاته المختلفة سيحسن كل شيء في المجتمع بما في ذلك الأداء السياسي والتعامل الراقي الذي يعزز السلم الاجتماعي.

وتقدم الصين في التجربة الإنسانية المعاصرة نموذجاً راقيا للإدارة السكانية وتفعيل الإبداعات وقابلية العقل البشري على صناعة الحياة، بينما تقوم الأمة العربية بأسرها نموذجاً نقيضاً ينتظر التفكيك وإعادة البناء.

آخر مقاربة عربية للمسألة السكانية هو التعداد الذي جرى في اليمن وبلغ فيه السكان عشرين مليوناً تقريباً، إضافة إلى مليون وسبعمائة ألف مغترب.

ومن الواضح أن فئة الشباب هي الغالبة أي أولئك الذين هم في العمل أو بانتظاره أو تحت الإعداد، وهذا يؤشر لمهام وبرامج وأولويات واستثمارات مطلوبة وأيضاً عقليات ينبغي تعديلها أو تغييرها، واليمن هو صورة لعالمه العربي.

"أوروبا" والسياح العرب!!

حسين جمال البكري

■ قبل سنوات كنت في رحلة سياحية إلى العاصمة الإيطالية روما وبعد أيام قضيتها زائرا للمسارح والمتاحف والحدائق و... والمشي على ضفاف نهر "التيبر" اشتقت إلى البحر.. كيف لا ومدينة غزة التي ولدت فيها وعشت فيها بين أهلي أيام الصبا وبعض سنوات الشباب، (غزة) تقع على ساحل البحر المتوسط؛ لذا فالبحر بمجرد أن أراه يعيدني إلى أجمل الذكريات فوق أرض الوطن المحتل!!

ركبت "الترومـاي" الإيطالي الانيق وبعد دقائق قليلة نزلت فوجدتني أقف أمام شاطئ بحر (ليدو دي روما) حيث النظام والنظافة والأزهار حول النافورات الجميلة.

دفعت ثمن تذكرة الدخول ودخلت.. شعرت بارتياح.. صوت بحر "روما" هو نفسه صوت بحر "غزة" صوته موسيقى عالمية إنسانية إلا أن الأرض هي الفرق وتروق للجميع.

وبعد أن تناولت السندوتشات والمرطبات و.. نزلت إلى مياه البحر للسباحة وطبعا ليس بعيدا عن الشاطئ!! وفجأة! رأيت مشادة حامية وتزاحما للناس.. ماذا يحدث هناك يا ترى خرجت من الماء وسألت أحدهم بالانجليزية فأجابني: المشكلة كانت مع شاب عربي.. اعتقد أنه كان عربياً.. إنه الآن في قسم الشرطة.

سألته: وماذا فعل ذاك العربي؟

قال: رمى بعلبة عصيره الفارغة فوق رمال الشارع.

قال له الناس: يجب عليك أن ترفعها وتضعها في برميل القمامة.

إلاَّ أنه رفض ذلك (متحديا مستكبرا)، الناس قالوا عنه: مجنون بالتأكيد هو مجنون.

أما حين طلبنا منه مغادرة المكان رفض و....

وابتعدت وقد فهمت لماذا رفض ذاك الشاب العربي أن يضع علبة عصيره في صندوق القمامة، والذنب فيما فعل يعود إلى التربية والتعليم.

ففي معظم بلاد العرب (المدرسة والبيت والشارع) لا أحد يهتم، والنظافة مجرد شعار!! لا أحد ومنذ صغره نصحه أو لامه إذا رمى بالعلب الفارغة إلى الشارع أو فوق الأرصفة.. لا أحد في وطنه كان قدوة له في الحفاظ على شوارع وحدائق وطنه نظيفة، لا أحد يلومه لو أنه لم يهتم بنظافة نفسه أو ملابسه و.. وطبعا ليس كل العرب على شاكلته.. يحدث ذلك مع أننا نردد كل يوم شعار "النظافة من الإيمان".

إلا أن شباب عالمنا الثالث مازالوا بحاجة إلى جهود جماعية مكثفة من البيت والمدرسة والمجتمع من أجل إصلاح أحوالهم وتعويدهم النظافة كسلوك من الصغر واحترام الوقت؛ لأنه حياتهم أو ألا يكذبوا لأن لا أحد يحب الكذابين!! و.. و..!!

ولكن ويا ترى كيف ومتى يبدأ عالمنا الثالث في وضع خطط تربوية جديدة للإصلاح وحسن التربية!